أنت قاس !

بقلم : جاذبية صدقي

... قالتها ، وصوتها يرتعش بل ينتفض متهدجا منفعلا مخضلا . لا في نبراته وحسب ذلك البلل ، بل في كيانه كله تستشعره حتى انك تكاد تلمسه بأنمله كانه رقعة زرع أخضر سقاها بستاني .

ـ « قاس ، قاس .. أنت ! » .

... كررتها وهي تضرب الأرض بقدم صغيرة ثائرة . ثم ألقت وجهها بين كفيها كأنما ستغسله بدموعها . بكت وبكت بحرقة وبانكسار ، لا لانه قاس ، بل لانه لم يهتز . وتلك قمة القسوة ـ ما بعدها ؟ لا يهتز ؟

فاندفعت في فورة غضبها منه .. ومنها .. ومن الدنيا جمعاء تجذب حقيبة الثياب عن ظهر دولابها . وشعرت براحة والحقيبة تهوى بعنف على الارض لانها تخيلتها وقد هوت على نافوخه . فابتسمت . ثم من فورها عبست جزعة ـ نافوخه ؟ لا ، لا ! بعد .. بعد الشر عنه ! ثم من فورها عبست ثانية عبوسا أشد اكفهرارا من الاول . تمضغ شفتها مضغا تكاد تهرسها ، كانما قررت أن تدع حبه المتغلغل هذا ينز من خلال الجراح التي تحدثها أسنانها الدقيقة الحادة الثائرة بتلك الشفة الناتئة الكسيرة . خير طريقة هذه ـ أجل ! خير طريقة أن تسيل دماؤها هي فيمتصها التراب وتتخلص منها ومنه ! فكأنما اللعين قد أذاب ذاته في ذاتها وامتزج بخلاياها وصار بعضا منها ـ من كيانها ... من روحها .. من دمائها . كلا ، كلا ـ لا يكون ! ماهذا

الضعف ؟ ستزهق روحهـــا هذه حتى يتـلاشى هو ، يذهب هو ! ستسيل دماءها حتى ينسل هو خارجا غصـبا مع قطراتها المراقة !

هنا احتد لهيبهـا لا لانه قاس ولان دموعها لم تهزه بل شفقة على نفسها من خيالها الذى يصور لها دماءها مراقة ·

ـ « يا لحيرتى ، يارب ! » ·
بصوت مسموع قالتها ·
هذا كله وظهرها له ·

ثم فجأة تذكرت الحقيبة · وتذكرت أنها انما جذبتها عن ظهر الدولاب لتلم ثيابها وتخرج ـ تذهب عنـه بعيدا · طبعا ، خير طريقة هذه ! فابتسمت خلال دموعها ابتسامة ذابلة شاحبة ـ شعاعة صـفراء واهنة خـلال أمطار وسـحب وعواصـف · ومع ذلك تشبثت بها ـ بالابتسامة ، كأنما مشـاعر المرء تتبع حركاته ، لا العكس · أجل ، أجل ! سـتذهب بعيدا عنـه ـ بعيدا جـدا ! ستهجره ولاتعود تراه ولاتسمع صوته · هنا لفظت ابتسامتها أنفاسها تحتضر ، ثم تلاشت ـ انفلتت من بين تشبثها ·· من بين استماتتها ·· وتبخرت ، ماتت · او كأنما هـوت الابتسـامة فى اغماءة سحيقة من هول مستقبل كهذا ـ لاتراه؟ لا تسمعه ؟

فهزت كتفيها مسـتنجدة · هزتهما بعنف كأنما لتوقظهما من خدر لسيرته ـ مجرد سيرته ! · كأنما يمكن أن تمتلكا ··· كتفاها ·· برقتهما وعذوبتهما قوة ما تستمدها منهما · الحق والله أنها طريقة جيدة هذه : الهجر ! والله الهجر أحسـن شيء ـ خـير من اراقة دمائها لتتخلص منه ومن حبه ! حبه ، قال !

ارتفع لها حاجب ساخرا ، يدفع الرقة أمامه ويأخذ مكانه على صفحة قسماتها كأنما وجههـا مسرح تلعب الاحاسيس عليه أدوارها · حب ؟ تراقص الحاجب مسائلا · حب سيميتها ؟ لم ؟ أتموت قتيلة الهـوى ، كما تقول الروايات ؟ سلام ··· ! هى تموت ؟ ليمت هو ، ليمت !

فانقض عليها قلبها بوحشية وجنون يخز ضلوعها وخـزا بلا رأفة ، وهو يتقافز ملتاثا ملتاعا يصرخ فيها ويصرخ:

ـ « بعد الشر عنه ـ بعد الشر ! »

فهوت عليه ·· على قلبها هذا ··· بكف رخصـة ذليلة ·· تهـدئة ·· تهدهده ·· تستسمحه ـ طفلها هـذا العنيد ! وانسـدل جفناها على عينيها فى صلاة خرساء من أعماق اعماقها :

ـ « بعد الشر عنه ، ألف ألف مرة! »

ثم كأنما تعتذر لعقلها :

ـ « شـاب هو فى عزه ، وحـرام شبابه ! »

ثم اسـتدارت ، تعميهـا دموعها ، وهوت على ركبتيها أمام حقيبة الثيـاب تتحسس مفاتيحها · ثم تحاملت متساندة تتحسس أدراجهـا وحاجياتها بيد فضحتها برجفاتها · فتوقفت لحظة حتى تخفت شـيئا تلك الاجراس التى تدق وتدق وتملأ برنينهـا وأصدائها خلايا دماغها · ثم ارتفع حاجباها فى دهشة عندما تبينت ببطء أن ماحسبته أجراسا ما هو الا نبضاتها وقد أفلت زمامها ·

ورآها ·· هو ·· حيث وقف يطوى ذراعيه على صـدره ، مرتكنا الى باب الحجرة المغلقة عليهما يتأملها فى صمت · ورآها وكفهـا ترتجف وتتسلل تضغط

قلبها . فتقافز قلبه لهفة على توأمه الذى يسكن ضلوعها ، وأراد أن يتلوى هو الآخر معه ، وله . مالهما .. قلبه وقلبها ... وما للسحب التى تحوم فوق رأسى صاحبيهما؟ فهمس لصاحبه:

ـ « زوجتى ـ زوجتى الصغيرة ! عصبية وغيور بعض الشىء ـ لكنها الحبيبة ، الحبيبة ! »

وأراد أن يبثها شوقه ، ويعطيها من حنانه .

لكن الرجل زجره . زجره وجانب من شفته يرتفع فى سخرية مريرة لاذعة وهو يقول له :

ـ « ألا تفهم يا غبى ؟ تمثيل نساء هذا .. ! كن رجلا ! »

أما « هى » ، فرفعت نظرتها وهى تغلق حقيبة الثياب على ما دسته فيها اعتباطا . رفعتها .. نظرتها تلك ... لتتزود من وجه الحبيب الذى تهجره بلا رجعة . فتعلقت عيناها متشبثتين بكل قسمة من قسماته كأنما تودعها : رأسه المرفوع فى غطرسة وعناد .. شعره الجعد الكثيف ... فوديه وقد وخطهما مشيب مبكر .. سمرته يزيدها المشيب توهجا ... ثم شفتين مضمومتين هكذا أبدا فى خط رفيع قاس ، قاس ! آه ، قاس !

غمغمت بالكلمة فى سرها ، ثم ألقت بوجهها بين راحتيها .

فتنهد قلبها :

ـ « ومع ذلك ، سوف أشتاق اليه! »

فوافقته ، تتنهد :

ـ « أى والله ، صدقت ! »

فعاد يقول :

ـ « وهل تظنيه سيرتاح دوننا ـ دون خدمتنا ورعايتنا ؟ »

فاحتد تنهدها :

ـ « لا أظن ! »

فأقحم عقلها نفسه فى حديثهما الناعم المتهاوى :

ـ « لينفلق ! »

فجزعت :

ـ « كيف ؟ كيف تقول هذا عنه ؟ »

فثار عقلها :

ـ « أقولها ونصف ـ الله هو ؟ »

فغمغمت بخشوع :

ـ « استغفر الله ـ انما الاله واحد للكون ! أما هذا الرجل فالهى أنا ! »

فطاش صواب عقلها :

ـ « اعقلى يا امرأة ـ اهتدى ! »

فتبسمت :

ـ « هدانى قلبى اليه ـ كفاية ! »

ـ « حقوقك عنده ضائعة وستضيع كلها .. كلها ! »

... وصوتها حالم يتضوع بخدر :

ـ « تضيع ! »

ـ « عمرك .. شبابك .. أيامك هدر جنبه ! »

ـ « فداه ! »

فضرب عقلها كفا بكف :

ـ « والله خسارتى فيك ! »

فهزت كتفيها :

ـ « طلبت أنا رأيك ؟ »

فصرخ :

ـ « لكن واجبى يحتم على أن أمسك بلجامك ! »

فقهقهت :

ـ « سعيدة يا ... لجام ! أنت ؟ أنت تقدر أن تلجم قلبى متى أحب بصدق .. بعمق .. بفناء ؟ »

... وهو على حاله يصرخ :

ـ « أتنتصرين للمهووس دونى ؟ »

فلم تجب . فاستطرد صياحه :

ـ « مهووس .. ملتاث .. بلا رابط! لا عمل له سوى نبض .. وخفقان .. وعشق .. وشوق .. وحنين .. وخصام .. ولقاء .. وخصام آخر ... و .. »

فقاطعته بدلال ، تبتسم شاردة مع خيالات وردية وذكريات غالية :

ـ « مالك أنت ؟ »

... وعقلها على حاله ، غاضب ثائر عليها :

ـ « مالى أنا ؟ كيف ؟ لم وضعنى الله سبحانه اذن داخل ذلك الراس الجميل المتأنق المتعطر البديع ، الذى يشبه اللؤلؤة الفارغة ؟ »

فهزت له كتفيها .

فجار :

ـ « أستغفرك ، يارب ! لم خلقتنى ثم جعلت قسمتى جمجمة امرأة ؟ »

فرنت ضحكتها ساخرة :

ـ « وأنت تطول ؟ »

فعالج المهادنة :

ـ «اسمعينى بلاهذر ـ الله يهديك!»

فقاطعته باستخفاف :

ـ « سامعة يا استاذ ... عقلى !»

ـ « أنا لا أمنعك من حبه ، فهو رجلك .. وحبيبك .. وزوجك ! ثم هو حقا انسان ممتاز ، لكنه ... »

فصاحت متنمرة :

ـ « لكنه ماذا ؟ هيه ..؟ قل ، قل ! لم تخاف ؟ »

فاحتد :

ـ « أنا لا أخاف ـ لا منك ولا منه ! »

فرنت ضحكتها :

ـ « حسبت ! »

فاندلعت ثورته :

ـ « كفى هذرا يا امرأة ، قلت لك ! أنا لا أمنعك من حبه لكنى أنصحك بعدم امتهان كرامتك هكذا . فالرجل كما قالت آلاف العقول المسكينة قبلى حتى جفت حلوقها لآلاف الملتاثات مثيلاتك منذ بدء الخليقة ـ الرجل صياد ، صياد !

وماذا يحدث للصياد ؟ يتعب هو .. ويشقى .. ويحاور .. ويداور .. ويرعى .. ويحمحم هو ـ لا الفريسة! »

فلم تع من كل ما قاله سوى كلمة « كرامة » . فقالت تجيبه بشجن :

ـ « وهل للمرأة العاشقة حقا سنين طويلة وقد تم لها زواج هو اختبار صارم للحب ـ هل لامرأة كهذه يا عقلى كرامة مع من تحب ؟ أكرامتها أغلى أم محور حبها نفسه ـ رجلها نفسه ؟ »

ـ « يا ستى افهمينى : لو كان الامر يتعلق بك وحدك لهان الامر ، لكنك ستجررينا كلنا .. كلنا وراءك ، ونتهم بالخمول والبلادة والركود ـ حتى بعدم الوجود ! »

فلم تجب . ربما لم تسمع .

فانفجر فيها :

ـ « أوه ... لا فائدة ترجى منك !

انك لا تستخدمينى فى تفكيرك متى كان لقلبك مصلحة ما فى الامر ! »

.... وصوتها حالم ناعم يذوب :

ـ « وهل لى قلب ؟ ملكه قلبى منذ الازل ـ ملكه «هو» ! »

فهدر مزمجرا :

ـ « سوف أهجرك أنا فى هذه اللحظة الحرجة من حياتك ـ هذه اللحظة الحاسمة فى عمر حبك .. و .. »

فقاطعته بوحشية :

ـ « بعد الشر عن حبى وعمر .. حبى ! »

وسرحت نظرتها مع ابتسامتها هناك .. بعيدا .. بعيدا .. عن عقلها ، وأضافت :

ـ « قل أى شىء ـ ادع على أنا باية دعوة ! فقط ابعد عن .. حبى ! »

فصرخ بيأس :

ـ « اذن سوف أنام ! سوف أنكمش فى حالى ولتنفلقى أنت .. وقلبك .. وحبك .. وحبيبك ! »

ـ « أحسن ! »

فجذب عليه أغطية ثقالا ، ثقالا . وتثاءب .. وتمطى .. ورقد على جنبه، يوليها ظهره .

فلم تجزع . بالعكس . تبادلت هى وقليها نظرة مرحة خاطفة ، ثم انفجرا ضاحكين ـ الحرية ، الحرية !

فسمع « هو » ضحكتها الخفيفة ، حيث وقف يطوى ذراعيه على صدره ويرتكن الى باب الحجرة التى شهدت خصامهما مرات . فغضب . أتهزأ به ؟ فقال لها بكبرياء جريحة :

ـ « هل هذا موقف ضحك؟ أتسخرين منى ؟ »

هنا جزعت جزعا حقيقيا شديدا . يا الهى ! متى يفهمنى ؟

فاستدارت على عقبيها تواجهه بدموع كثيرة أطاعتها ، وملأت مقلتيها بسرعة :

ـ « بل أبكى ! »

وتعلقت عيناها به .

ثم ثارت عند ما رأت وسامته .. وقامته .. ووقفته ـ لأنه يخونها . لأنه ابتسم لغيرها . سمح لغيرها أن تمسح على شعره ، تتلمس حنانه .. ونظرته .. وشفته !

فأضافت بفظاظة :

ـ « أبكى على حظى الاسود ! »

فكأنما قذفته بكرة من نار ، لم يطقها فردها اليها من فوره بمرارة وفظاظة أقسى :

ـ « حظك ، أم حظى أنا الاسود ؟ »

ـ « حظنا أسود نحن الاثنين ! »

ـ « اذن لم التردد ؟ فيم الانتظار ؟ »

فتساءلت ، وعيناها مندلعتان :

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « أعنى الفراق ، الطلاق ! »

فانفجرت :

ـ « طبعا ، ليخلو لك الجو ! لتمرح على هواك مع نسائك اللاتى على كل شاكلة ولون ! طبعا .. »

فقاطعها بهدوء ، وقد برد قلبه ـ اطمئن :

ـ « ش . . ش ! لا لزوم لذلك الكلام ! »

ـ « لا لزوم له ؟ بل له لزوم جدا ! .. والنبى ومن تبى النبى لأبيت قاتلة أو مقتولة فى هذا البيت الليلة ! »

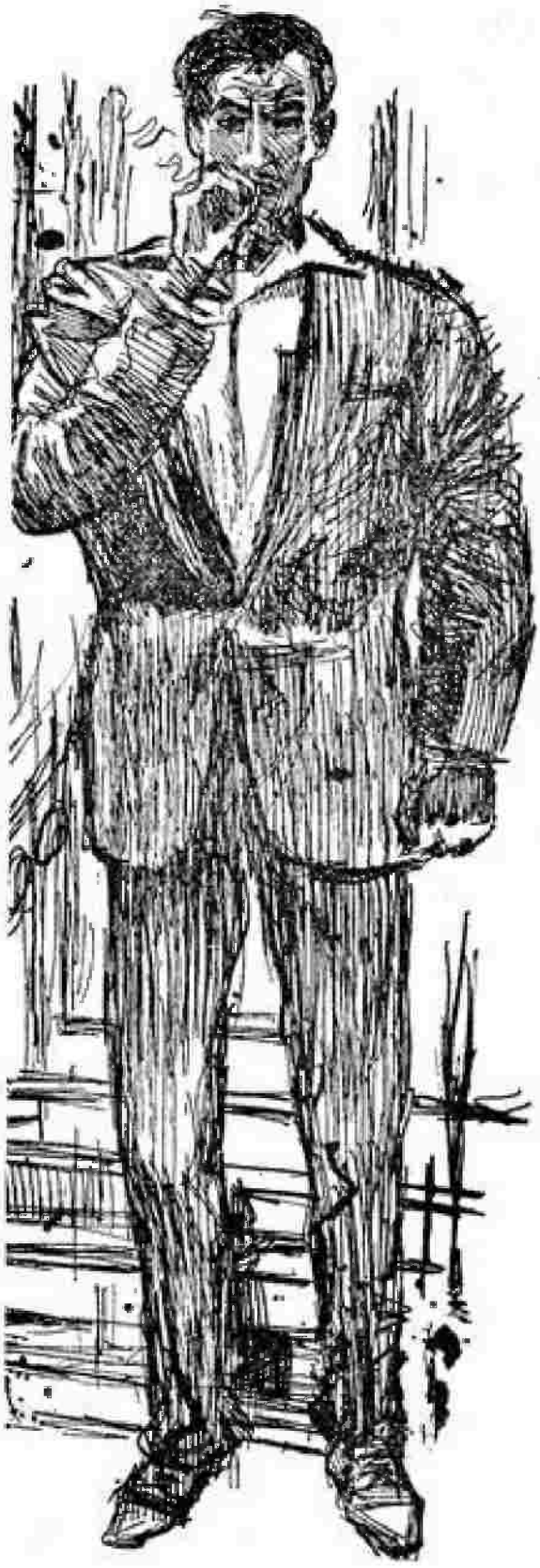

... وعيناها رجراجتان مجنونتان . وقسماتها الحلوة قبيحة ، وصوتها الناعم أجش ، وحركاتها التى تتمشى فيهـا انسابية عذبة ، متقلصة وهى تفح :

ـ « أقتلك لابد .. أو أقتل روحى .. أو أقتل « لولا » هذه بنت الـ .. »

فخطا نحوها خطوتين سريعتين ، وهوى بكفه على خدها .

فصرخت :

ـ « تضربنى ، من أجلها ؟ »

فصرخ بدوره :

ـ « قلت لك كفى عن مثل هـذا الكلام ! »

ـ « وان لم أفعل ؟ »

ـ « اضطرك اليه اضطرارا ! »

ـ « وان لم تنجح ؟ »

ـ « أطلقك ! »

فصرخت فى تشف :

ـ « صح النوم ـ سلطان زمانك أنت؟ لن تقدر ، فلم يعد هناك اليوم طلاق بأمر الرجل وحسب ! »

فتنبه للهفوة . لكنه تمالك . لم يطلعها على الوخزة التى أصابته من قلبه هو ، عندما نطق بكلمة الطلاق التى اضطرته برعونتها الى النطق بهـا . وخزه قلبه ينوح :

ـ « حبيبتى أنا ـ تطلقها ؟ كيف العيش بعدها ؟ »

لم يطلعها ، فلم تر على قسماته سوى جمود وقسوة وحزم وترفع وهو يقول لهـا :

ـ « أبعد عنك والسـلام ـ بأية طريقة ! »

فتلوت وهى تسبح بنظرتها الجزعة فى قسماته ثم تقفز بها الى عينيه تسبر أغوارهما ، أسرارهما . ثم تقفز بهـا مرة ثانية الى خط شـفتيه المزمومتين

القاسيتين في غموض واصرار · ثم صرخت وصرخت كأنما رأت الدنيا تنهار :

ـ « آه ·· ! لم يعد لى فى قلبك مكان ! »

وبكت · بكت بحرقة ·· بذلة ·· بانكسار ·· بدموع كثيرة ـ دموع حقيقية صادقة هذه المرة ، منتزعة من شغاف روحها · وبكى معها قلبها ، ينشج :

ـ « يضربنا ؟ »

فقالت له بصوت صغير :

ـ « لا ضير يا قلبى من لطمة ـ هو رجلى على كل حال ! وأنا أحب لمسة كفه على خدى ، مهما كانت ! »

ـ « صدقت يا أختى ـ ولكن أن ينسانا ويهوى غيرنا ويدعنا نحن نهوى هكذا من قلبه كمية مهملة ·· »

فقاطعته تولول :

ـ « مصيبة ، مصيبة كبيره ! »

ـ « بل طامة كبرى ! »

ـ « كبرى الكبائر والله ـ ألعن من الطلاق ! لا مكانة فى قلبه ؟ »

وأقاما مناحة لطم قلبها فيها صدغيه، يتفجع ·· ويتمرغ ·· ويضرب رأسه بضلوعها كأنها أعمدة مسجون هو بينها ·· ويتقافز ملتاعا ويتقافز كأنما بساطه جمرات حمر ، ينتدب :

ـ « داهيتى ، ، داهيتى ! »

··· وهى تردد كأنها صداه :

ـ « داهيتى ، داهيتى ! »

ـ « آه يا أنا ! آه يا مسكين يا أنا ! ماذا نفعل الآن ؟ مايكون من أمرنا ؟ ما مصيرنا ؟

ـ « لا أعلم يا قلبى ، لا أعلم ! »

···· كأنما انتهى العالم ، توقفت الحياة ، أزفت الساعة ، وقامت القيامة!

فانحنت على حقيبة ثيابها تحملها وتخطو بها نحوالباب ، خطوات مخلخلة مبتسئة ·

··· و « هو » ·· رجلها ·· يرقبها وقلبه يدق على وقع خطواتها !

وعندما مدت يدها التى يذكر نعومتها وعذوبة برد ملمسها عى جبهته عندما كان يمرض أو يعود مجهدا ـ عندما مدت يدها هذه الى كرة الباب لتفتحه وتخرج من حياته ، وهى تغمغم ليفسح لها الطريق :

ـ « عن اذنك ! »

··· كاد يحتويها فى أحضانه ـ تلك الحمقاء الحبيبة !

لكنه لم يفعل · تنحى عن طريقها ، بل فتح لها الباب ·

فاندفعت خارجة ، تخنقها أشياء كثيرة ليست الدموع احداها · وهبطت بضع درجات ، ثم خانتها ذراعها التى تحمل حقيبة الثياب الثقيلة · فهوت الحقيبة تتدحرج على السلم · وتعثرت « هى » فيها وكادت تهوى فوقها ، لولا أن شعرت بذراع قوية حول خصرها انتشلتها انتشالا من عثرتها ·

فلما استوت على قدميها تنفض ثوبها فى خزى ، تركتها الذراع !

فرفعت عينيها بسرعة ، بلهفة · فلم تر منه سوى ظهره وهو يصعد السلم ثانية ·

فالتاعت · هل يخفى ضحكه منها ومن منظرها، وهى وحقيبتها تتدحرجان؟ أم يتركها حقا تهجر البيت على حين يعاود هوالدخول اليه ببرودهكذا وعدم اكتراث ؟

فاندفعت تهبط الدرجات مثنى مثنى وهى تكاد تهلك · ولكنها عندما وصلت الى حقيبة ثيابها التى كانت قد سبقتها الى نهاية السلم وانقضت

لترفعها بكلتا ذراعيها ·· وبيديها ·· وبعافيتها كلهـــا ··· وبغضها كله ، ألقته عند مرفقها ·

وقال «هو» يخلص الحقيبة من يديها الصغيرتين :

ـ « عنك ! »

فعجبت لصوته الحنون ولرنة الاسى فيه التى يحاول اخفاءها · رنة خفيفة فعلا ، لكنها « هى » بحاسة مبهمة فى جب حواسها السحيق الجياش تلمستها بما لها من رهافة ، وصادتها من الهواء·

فتسمرت مكانها ، حيرى ·

لكنها تذكرت « لولا » ··· ودلال « لولا » ·· وصوت « لولا » ثم خروجه الكثير ··· وسهراته ··· وحفلاته ·· ووسامته ·· وقامته ، فانتزعت حقيبة ثيابها منه بفظاظة :

ـ « لا لزوم ! »

فجزع « هو » وكبرياؤه جزعا ·

أتهجره ؟ حقا ؟ هى التى تهجر ؟

فرفع يدا الى جبهته وقد زحفت عليها برودة فجأة ·

فلمحته ـ لمحت حركته تلك ·

فهوت الحقيبة من يدها واستدارت اليه ـ هو على رأس السلم ، وهى أسفله وانهار صوتها وهى تسألها :

« مالك ؟ »

لا شىء لا تقلقى بالك

ـ « لم اذن تتحسس جبهتك ؟ »

ـ « لا شىء ! »

ـ « لا أقلق بالى كيف ؟ وأنت ؟ »

فاستغل الثغرة ، وشـــحن سحره كله ·· وجاذبيته كلهـــا ·· ورماها بنظرة جانبية تحبها منه دائما ، يغمغم:

ـ « أنا بخير ، مادمت أنت بخير ! »

فذابت ·

ـ « وهل أكون بخير وأنا قلقة عليك وعلى صحتك ؟ »

فسعل · اســـتنجد مستميتا بكل خشخشة كانت فى صدره منـذ أسبوع ولزم بسببها الفراش · فاستوحشته لمة أصدقائه ودفعت « لولا » الى محادثته بالتليفـون فى بيته لسؤاله عن سبب تخلفه أسبوعا بطوله· فأجابتها زوجته التى ادعت بمكر أنثوى أنهـــا الخادمة وعرفت منهـــا ··· كل شىء ! وكان ما كان !

استنجد الآن بسعاله القديم وبضعفه ـ حتى بحرارته المرتفعة ! لكنهـــا لم تسعفه طبعا · الذى أسعفه وحسب هو السعال · رن صداه فى صدره وحلقه قويا وضخمه « هو » الى أبعد ما وسعه!

فاندفعت « هى » تصـــعد السلم بسرعة ، وأحاطت خصره حيث وقف يوليهـــا ظهره ويسعل ويسعل وقد انحنى نصفين يرتكن الى الدارابزين ـ أحاطته بذراعهـــا كأنها أمه ، ودفعته مترفقة حانية الى داخل البيت ·

ونسيت نفسهـــا ··· ونســـيت غضبها ··· ونسيت كرامتهـــا ··· ونسيت حقيبة ثيابهـــا أسفل السلم وأجلسته بحنان دافق على مقعده الوثير المعتاد فى حجرتهما · ثم انحنت تخلع عن قدميه الحذاء وتدلكهما وتضمهما الى صدرها لتدفئهما · ثم دستهما فى خف صوفى دافىء · وهرولت الى المطبـــخ وعادت مهرولة بكوب من شراب الليمون الساخن · وهرولت الى الحمام ، ثـم هرولت عائـدة بقرص دواء · وسقته الليمـون بالدواء · وتحسست جبهته بجزع ممض ، ثم ضمت رأسه بلهفة فى حضنها توسده نهديهـا · ثم هرولت ثانية الى الحمام ·· الى دولاب الادوية

... وجاءت بمقياس الحرارة . ودفعته تحت لسانه ، ثم وقفت الى جواره تقبض على معصمه تعد نبضه وعينها على الساعة الدقيقة التى تلف معصمها هى فى نعومة ورقة . ثم جذبت مقياس الحرارة من فمه ، وقربته من عينيها واقتربت هى كلها من مصباح النور . فتقبضت جبهتها وهرولت الى التليفون تستدعى الطبيب .

... و « هو » مستسلم لها استسلاما تاما ممتعا !

لكنها عندما أدارت قرص التليفون ، سألها برقة :

ـ « كم وجدت حرارتى ؟ » .

فأجابته لاهثة شاردة :

ـ « ستة وثلاثون وثمانى شرطات ! »

فضحك . بل قهقه يهتف :

ـ « لكنها يا عزيزتى حرارة طبيعية ـ أليست كذلك ؟ » .

فأعادت السماعة مكانها بهدوء ، وهى تغمغم ذاهلة :

ـ « آه ! صحيح هذا ، والله ! »

فقام اليها .

وعندما ضمها الى أحضانه دون أن ينبس بكلمة ، استكانت فى صمت تحت جناحه كاليمامة الوديعة تهدل وقلبها فراشة هانئة يسبح طائرا فى ملكوته ، فى دنياه .

ـ « قل لى حاجة ! » .

ـ « لا لزوم لكلام ! » .

ومن فوقها رأسها المدسوس تحت ابطه ، تبسم يقول لنفسه :

ـ « أجل ، حبيبة هى وعذبة ، لكنها حمقاء حمقاء ! متى تفهم أن الرجل لا يصبر على واحدة ـ وان صبر عليها قلبه ولم يحب سواها ؟ متى تفهم ـ هيه ؟ متى تفهم أن الرجل اذا أحب لم يلتفت قلبه ولا وسع ولا قدر على غير حبيبته . لكن عنياه .. وذراعاه .. وشفتاه تقدر على مئات ! » .

ثم فجأة تنبه لها .

تنبه أنها تسأله سؤالا ملحا وتكرره .. وتكرره .. مرة .. بعد مرة .. ومن بعدها مرات ـ لا تتعب ، لاتكل ، لا تمل . فلما تغضب يصغى اليها كى يعى ما تقول ، تبين أنها أنما تسأله السؤال عينه الذى لا يتغير ولم يتغير ـ سؤال لم تتعب من ترديده على مسامعه منذ تزوجا ، ولا زالت ! .

فزفر بلا صوت ، يدير عينيه نحو السماء .

يا الهى ـ يا لهؤلاء النساء ! .

ومع ذلك ، رقق من صوته وشحنه بحرارة وهو يدس وجهه بين خصلاتها يمرغه عليها .. وبينها .. وفيها بطريقة يعرف أنها تدغدغ حواسها . وأجابها هامسا والها مصطبرا ، ليريحها ويريح نفسه :

ـ « طبعا يا حبيبتى ـ أحبك ! » .

فشمل قلبها ـ ثمل تماما ، يترنح نشوان .. نشوان .. جذلان ! .

وصدقت .

وسعدت .

وساد سلام !